جعلُوا أصابِعَهم في آذانِهم!

قصةُ نبيِّ اللهِ نوحٍ

كتبتها: لي لي محسن
رسوم: إسلام فكري

سلسلةُ الأنبياءِ في الإسلامِ للأطفالِ

عبدَ قومُ نوحٍ منذُ آلافِ السنينَ أصنامًا
نحتُوها بأيديِهم منَ الأحجارِ.

واعتقدُوا أنَّ هذهِ الأصنامَ
التي اتخذُوها آلهةً يمكنُ أن تجلبَ
لهمُ الخيرَ وتقيهمُ[1] الضرَّرَ.

(1) تحميِهم منْ.



اصطفَى اللهُ تعالَى من قومِ نوحٍ رجلًا صالحًا ليكونَ نبيَّهم؛ كانتْ مهمتُه هي تبليغَ منهجِ اللهِ الواحدِ الأحدِ، والتحذيرَ من عقابِه إذا لم يعبدُوه وحدَهُ لا شريكَ له.



كان نبيُّ اللهِ نوحٌ متحدثًا لبقًا، ورجلًا صبورًا لأبعدِ الحدودِ، وكان يحدِّثُ قومَه كلَّ يومٍ عن حولِ اللهِ وقوتِه، ويحذِّرهم مراتٍ ومراتٍ قائلًا لهم: «إنَّما بُعثتُ لأحذِّرَكم من عقابِ اللهِ إذا لم تؤمنُوا بهِ!».



كانَ نبيُّ اللهِ نوحٌ يحدِّثُ قومَه كلَّ ليلةٍ عن
عظمةِ اللهِ،
ولم يكنْ يَكلُّ أو يملُّ من أن يقولَ لَهم:
«اعبدُوا اللهَ ولا تخشَوْا[1] غيَره»،
لكنَّهم كانوا يتجاهَلون كلامَه مع الأسفِ.

(1) تخافُوا.



كان نبيُّ اللهِ نوحٌ دائمًا ما يكرِّرُ عليهم:
«اعبدُوا اللهَ وحدَه واستغفِروه وسيرزقُكم
من فضلِه ويُنعمُ عليكُم بالجنةِ التي بها
حدائقُ جميلةٌ ذاتُ بهجةٍ وأنهارٌ».

ومعَ ذلكَ، أدارَ قومُه ظهورَهم لَه
ولم يسمَعوا له قطُّ.



لقدْ دعَا نبيُّ اللهِ نوحٌ قومَه سرًّا وجهرًا، واستخدَم معهُم شتَّى[1] الطرقِ.. لكنْ، ما كانَ من قومِه إلاَّ أنْ سخِرُوا منه وفرُّوا[2] كلَّما كان يحدِّثُهم عن اللهِ.

ومع ذلكَ، ظلَّ نوحٌ عطوفًا وصبورًا عليهِم ولم يكفَّ عن دعوتِهم.

---

(1) مختلف.
(2) هربُوا.



واستمعَ له بعضُ الفقراءِ والضعفاءِ من
قومِه الذين اتَّبعوهُ وآمَنوا باللهِ الواحدِ الأحدِ.

أمَّا بالنسبةِ للأغنياءِ وأصحابِ النفوذِ
فكانوا لا يصدِّقونَ تحذيراتِه.

وتساءَلوا بوقاحةٍ: «إنَّنا نرَى أنكَ كاذبٌ،
ولــم يكنْ لديــكَ ما يُمــيِّزُك عــنَّا..
أنتَ رجلٌ عاديٌّ مثلُنا، فأنَّى[1]
لكَ أن تكونَ رسولَ اللهِ؟!».

---

(1) كيف.



فردَّ عليِهم نبيُّ اللهِ نوحٌ قائلًا: «لمْ أقُلْ إنني مَلكٌ علَى الإطلاقِ، وما أنا إلا رجلٌ عاديٌّ إنَّما بُعثتُ لأبلِّغَ رسالةَ اللهِ لكُم وأحذِّرَكم!».

لم يَكُفَّ نوحٌ عن تحذيرِ قومِه؛ لكنَّهم كانوا لا يزالونَ يكذِّبونَه، وأخذَ يوضِّحُ لهم كيفَ أنَّ اللهَ تعالَى خلقَ الجنةَ والنارَ، وكيفَ أنَّه سيعاقبُهم إذا عبدُوا غيرَه.



وأخيرًا قالَ أحدُ الأغنياءِ: «اسمعْ يا نوحُ،
إنَّنا لا نبالي[1] بتحذيراتِك.. فما أنتَ إلا رجلٌ
مثلُنا وما اتَّبعَك إلا الفقراءُ والوُضَعاء[2]،
ولم تكنْ خيرًا منَّا بأيةِ حالٍ
من الأحوالِ!».

(1) نهتمُّ.
(2) مفردُها: الوضيعُ، ويعني الدَّنيء.



ردَّ عليهِم نبيُّ اللهِ نوحٌ في لينٍ ورفقٍ:
«يا قَومي، فقراءَ كنتُم أو أغنياءَ، كلُّنا سنلقَى
اللهَ تعــالَى في يــومٍ مــن الأيــامِ،
واللهُ وحدَه هو الذِي يعلمُ ما في قلوبِنا
ونفوسِــنا، ومــا أنَا إلا رســولٌ
ولا أسألُكم أجرًا إنْ أجرِيَ
إلاَّ علَى اللهِ وحدَه!».



عاشَ قومُ نوحٍ مَا يتجاوزُ الألفَ عامٍ،
وقد قضَى نبيُّ اللهِ 950 عامًا من حياتِه
وهو يدعُوهم إلَى الإيمانِ باللهِ
وحدَه لا شريكَ له.

وحذَّرهم من عقابِ اللهِ ولكنَّهم جعلُوا
أصابِعَهم في آذانِهم!.


32
31
30

ردَّ عليهِ أغلبُ قومِه قائلينَ:

«إنَّنا سئِمنا[1] وتَعِبنَا من دعوتِك لنَا يا نوحُ، لقدْ أصابَكَ الجنونُ!».

«دعْ[2] ربَّك يعاقِبْنا إن كنتَ من الصادِقين».

(1) مللْنا.
(2) اترُكْ.


27

دعَا نبيُّ اللهِ نوحٌ ربَّه آسِفًا وقالَ:
ربِّ إني دعوتُ قومِي ليلًا ونهارًا وحذَّرتُهم
لكنَّهم لم يسمَعوني قطُّ[1]!.

وإني كلَّما دعوتُهم لتغفرَ لهم جعلُوا
أصابِعَهم في آذانِهم واستَغْشوا[2]
ثيابَهم، وأصَرُّوا علَى موقفِهم
واستكبرُوا استكبارًا.

[معنَى الآيةِ: 7 من سورةِ نوحٍ].

(1) أبدًا، على الإطلاق.
(2) تغطَّوا بثيابهم كي لا يَسْمَعوا ولا يَرَوا.



وقدْ بيَّنَ اللهُ تعالَى لنبيهِ نوحٍ أنَّ
قومَهُ لنْ يصدِّقُوه مهْمَا فعلَ.

أمرَ اللهُ نبيَّه نوحًا والقليلينَ الذينَ
اتبعُوه بأن يبنُوا سفينةً كبيرةً.

اختارَ نوحٌ مكانًا خارجَ المدينةِ،
وجمعَ هو وأتباعُه الأخشابَ والأدواتِ
ليبنُوا سفينةً ضخمةً.



وقد أتَى الأغنياءُ من قومِهِ ليرَوْا نوحًا وأتباعَه ويسخرُوا منهُم.

قالُوا لهم وهُم يضحكونَ: «لِمَ تبْنُونَ سفينةً في مكانٍ بعيدٍ عن البحرِ؟!».

«هلْ ستجرُّونها بمفردِكم إلى البحرِ عندَما تنتهونَ من بنائِها؟!».

ردَّ عليهم النبيُّ نوحٌ قائلًا: «ها أنتُم تسخرونَ منَّا، لكنَّنا سنسخرُ منكُم فيمَا بعدُ، واللهُ سيعاقبُ الكافرينَ قريبًا».



وقدْ أدركَ نوحٌ عندَما خرجت المياه من الفرنِ
في بيتِه أنَّ ذلكَ علامةٌ منَ اللهِ تعالَى
على أن يستعدَّ.

فجمعَ نوحٌ القليلينَ الذينَ آمنُوا باللهِ وحملُوا
السفينةَ وعليْها زوجانِ (ذكرٌ وأنثَى) مِنْ كلِّ
حيوانٍ وطائرٍ وحشرةٍ وجدَها في طريقِه.

ضحكَ الكفارُ وقالُوا: «هل جُننتَ يا نوحُ؟
ماذاَ ستفعلُ بكلِّ هذه الحيواناتِ؟! هل
ستبحرُ بسفينتِك على أرضٍ جافةٍ؟!».



نادَى نبيُّ اللهِ نوحٌ أتباعَه بعدَما حمَّل السفينةَ بالحيواناتِ قائلًا: «يا قومِ، اصعدُوا السفينةَ.. بسمِ اللهِ نبحرُ».

تساقطَ المطرُ بغزارةٍ شديدةٍ حتَّى امتلأتِ الأرضُ بالماءِ وأخذتْ تزدادُ وتزدادُ حتى صارتِ الأرضُ الجافَّةُ محيطًا شاسعًا[1]!

(1) واسعًا.



نادَى نوحٌ على أحدِ أبنائهِ، الذِي لم يرغبْ في الركوبِ معَه وقالَ: «يا بُنيَّ، اركبْ معَنا السفينةَ ولا تكُنْ معَ الكافرينَ».

صاحَ ابنُه قائلًا: «سأصعدُ إلى جبلٍ عالٍ لينقذَني من هذَا الطوفانِ المرعبِ».

فقالَ لهُ نبيُّ الله نوحٌ: «اليومَ سيغرقُ كلُّ الناسِ ولن ينجُوَ إلا الذينَ آمنُوا باللهِ يا بُنيَّ».



وحالتْ بينَ نوحٍ وابنِهِ موجةٌ عاليةٌ كجبلٍ شديدِ الارتفاعِ، وغرِق ابنُ نوحٍ مثلُه مثلُ بقيةِ الكفارِ.

أمَر اللهُ المحيطَ الهائلَ أنْ يُغرقَ الكفارَ جميعًا.

إنَّ اللهَ هوَ الحقُّ والعدلُ، وقدْ وعَد بعقابِ كلِّ مَن لمْ يؤمنْ بهِ، حتَّى لو كانَ ابنَ نبيِّه نوحٍ.



أمرَ اللهُ تعالَى الأرضَ أن تبتلِعَ الماءَ من جديدٍ، وأمرَ السماءَ أن تتوقفَ عن سقوطِ المطرِ، وبذلكَ اختفَى كلُّ الظالمينَ الذينَ لم يؤمِنُوا باللهِ.

رستِ[1] السفينةُ بأمانٍ وسلامٍ على جبلٍ يُسمَّى «الجُودِي».

لقدْ نجَا النبيُّ نوحٌ وقومُه من الطوفانِ وبدءُوا حياةً جديدةً ينعمونَ فيهَا برحمةِ اللهِ، وتعايشُوا في سعادةٍ وهم يعبدونَ اللهَ الواحدَ الأحدَ.

(1) استقرتْ.